



ANNALES ISLAMOLOGIQUES

en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne

AnIsl 25 (1991), p. 1-10

Muḥammad Ḥusam Al-Dīn Ismā'īl 'Abd Al-Fattāḥ

Ba'd mūlāḥazāt 'ala al-'ilāqat bayna mūrūr al-mawākab wa waq' al-mabānī al-'aṭārīyya fi šawāri' madinat al-Qāhira.

Conditions d'utilisation

L'utilisation du contenu de ce site est limitée à un usage personnel et non commercial. Toute autre utilisation du site et de son contenu est soumise à une autorisation préalable de l'éditeur (contact AT ifao.egnet.net). Le copyright est conservé par l'éditeur (Ifao).

Conditions of Use

You may use content in this website only for your personal, noncommercial use. Any further use of this website and its content is forbidden, unless you have obtained prior permission from the publisher (contact AT ifao.egnet.net). The copyright is retained by the publisher (Ifao).

Dernières publications

9782724711714	<i>La pensée et la pratique pharmacologiques d'Avicenne</i>	Sylvie Ayari
9782724711899	<i>BCAI 40</i>	
9782724711288	<i>Karnak-Nord XI</i>	Colin Hope
9782724711622	<i>BIFAO 126</i>	
9782724711059	<i>Les Inscriptions de visiteurs dans les Tombes thébaines</i>	Chloé Ragazzoli
9782724711455	<i>Les émotions dans l'Égypte Ancienne</i>	Rania Y. Merzeban (éd.), Marie-Lys Arnette (éd.), Dimitri Laboury, Cédric Larcher
9782724711639	<i>AnIsl 60</i>	
9782724711448	<i>Athribis XI</i>	Marcus Müller (éd.)

بن حسين (أثر رقم ١٢٥) ، جامع الأمير آق سنقر الناصرى (أثر رقم ١٢٣) ، مدرسة الأمير خاير بك (أثر رقم ٢٤٨) ومنزله (أثر رقم ٢٤٩) — سكنه قبله الأمير ألتناق الحسامى والأمير أيتمش البجاسى والأمير مقبل الدوادار ، ثم الأمير إبراهيم أغا مستحفظان بعد ذلك — ، مدرسة الأمير أيتمش البجاسى (أثر رقم ٢٥٠) ، ومنشآت الأمير إبراهيم أغا مستحفظان (أثر رقم ٢٣٨ ، ٦١٩ ، ٥٩٣ ، ٥٨٦) ، وغير ذلك من الآثار الهامة فى تاريخ العمارة الإسلامية فى العصرين المملوكى والعثمانى .

وطريقة حرص السلاطين والأمراء على بناء المنشآت الهامة لهم فى الطرق الرئيسية بالمدينة التى كان يمر منها السلاطين ، كانت متبعة أيضاً فى «الدرب السلطانى» الذى كان يبدأ من القلعة متجهاً شرقاً فشمالاً بمنطقة صحراء المماليك إلى خارج القاهرة ، والذى كان السلاطين يخرجون منه ، ويرجعون إلى القلعة من داخل المدينة ، فيما عدا ما ذكرنا من موكب السلطان الغورى الأخير إلى الشام ، والذى كان آخر موكب فى حياته بمدينة القاهرة . كما نلاحظ أن المعمار فى العصور المختلفة ، كان يجتهد فى أن تكون واجهات المنشآت التى تطل على طرق الموكب السالفة الذكر ، تمتد من الشمال إلى الجنوب مع ميل إلى الشرق — كواجهة جامع السلطان المؤيد شيخ المحمودى ، وواجهة مدرسة السلطان حسن — وإن كان فى أحيان أخرى يخرج بالبناء فى وسط الطريق كما فعل فى مجموعة السلطان قلاوون عند بناء المدرسة ، حتى تكون الواجهة ظاهرة بكل التفاصيل المعمارية لها أمام الموكب المتجه إلى القلعة .

إلى القلعة . . . فلما بلغ بين العروستين^{٣٩} ترجل سلار وسائر الأمراء ومشوا إلى باب السر من القلعة^{٤٠}. ويذكر كذلك موكباً آخر للسلطان الناصر محمد في حوادث سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٢م، حيث قال « . . . وخرج شرف الدين النشو فبسط الشقاق الحرير والزربقت التي جباها من الأمراء المقيمين وأرباب الدولة من بين العروستين إلى باب الإسطبل^{٤١} ». ويذكر المقرئ أيضاً موكباً للسلطان برقوق في حوادث شهر شعبان سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م، فيقول « وفي خامسه ركب السلطان إلى عمارته - أئر رقم ١٨٧ بين القصرين - فدخل من باب النصر وخرج من باب زويلة، فدخل بيت الأمير الأتابك أيتمش - أئر رقم ٢٤٩ بشارع باب الوزير -^{٤٢} وعاد إلى القلعة^{٤٣} ».

ويسوق لنا إبن إياس عدة مواكب سلطانية في القرنين ٩ و ١٠هـ/١٥ و ١٦م توضح نفس الفكرة، فيصف موكباً للسلطان برسباي في سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م بقوله « فدخل من باب النصر وشق القاهرة في موكب حافل . . . وفرشت تحت حافر فرسه الشقق الحرير من التبانة إلى القلعة^{٤٤}، وموكباً آخر للسلطان قايتباي سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٩م، فيقول « . . . من عند مدرسة أم السلطان^{٤٥} التي في التبانة إلى القلعة^{٤٦}، وعند ذكره لموكب سفر السلطان الغوري إلى الشام لمحاربة السلطان سليم الأول في شهر ربيع الآخر سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م، قال « فشق طلب السلطان من الرملة . . . ونزل على باب الوزير ودخل من بابي زويلة وشق القاهرة^{٤٧}، كما يصف موكب سفر زوجة السلطان الغوري للحج في سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م، فيقول « . . . إنسحبت محفة خوند زوجة السلطان . . . فالما شقت من الرملة إرتجت لها . . . ثم طلعت المحفة من الصورة^{٤٨} ونزلت من على باب الوزير وشقت من القاهرة . . . ولم يكن من العادة القديمة أن محفة حريم السلطان تشق القاهرة^{٤٩} ».

نرى أيضاً في هذا الطريق عدداً ليس بالقليل من منشآت السلاطين والأمراء في شارع التبانة وباب الوزير، فهناك منزل السلطان قايتباي (أئر رقم ٢٣٥)، مدرسة أم السلطان شعبان

- (٣٩) بين العروستين : كان موضعها عند دار المحفوظات بسكة الحجر الآن . أنظر : محمد حسام الدين : المرجع السابق ، ص ٣٩ .
- (٤٠) المقرئ : السلوك ، ج ٢ ق ١ ص ٧٣ .
- (٤١) المقرئ : السلوك ، ج ٢ ق ٢ ص ٣٥٦-٣٥٧ .
- (٤٢) أنظر : محمد حسام الدين إسماعيل : أربع بيوت مملوكية من الوثائق العثمانية ، حوليات المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية بالقاهرة ، مجلد ٢٤ سنة ١٩٨٨ ، ص ٧٧-٨٨ .
- (٤٣) المقرئ : السلوك ، ج ٣ ق ٢ ص ٥٢٠ .
- (٤٤) إبن إياس : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٥١ .
- (٤٥) أئر رقم ١٢٥ .
- (٤٦) إبن إياس : المصدر السابق ، ج ٣ ص ٣٤ .
- (٤٧) إبن إياس : المصدر السابق ، ج ٥ ص ٣٦ .
- (٤٨) الصورة : هي المنطقة أمام دار المحفوظات عند سكة الحجر الآن . أنظر : محمد حسام الدين إسماعيل : منطقة الدرب الأحمر ، ص ٣٢-٣٣ .
- (٤٩) إبن إياس : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٤١ .

هذا عن الموكب السلطاني داخل مدينة القاهرة وظواهرها ، أما عند وصوله إلى باب زويلة فقد كان يتجه يساراً إلى شارع الدرب الأحمر فالتبانة ، ومن هنا كان يأخذ طريقين : إما أن يتجه من شارع سوق السلاح^{٣٠} - كان يسمى سوق العزى - فبدان القلعة ، أو يساراً من شارع باب الوزير فسكة الحجر فالقلعة مباشرة . وحجتنا في ذلك ما جاء بالمصادر التاريخية من وصف للمواكب السلطانية . فيذكر ابن إياس وصفاً لموكب السلطان الغورى فيقول « . . . فطلع من على سوق العزى من على مدرسة السلطان حسن وشق الرملة^{٣١} »^{٣٢} . ويصف موكباً آخر لنفس السلطان ، حيث يقول « . . . فلما شق من القاهرة كانت مزينة بالزينة الحافلة . . . من باب النصر إلى رأس الرملة . . . فاستمر في هذا الموكب حتى طلع من على جامع المارديني^{٣٣} ، من على مدرسة السلطان حسن فشق من الرملة^{٣٤} » . ويسوق لنا موكباً آخر للملك الأمراء خاير بك ، فيقول « . . . وقد طلع من على التبانة من على مدرسة السلطان حسن »^{٣٥} .

وكان هذا الطريق كسابقه من الطرق التي يمر منها موكب السلطان ، عامراً بعناصر هامة ، منها مدرسة السلطان حسن (أثر رقم ١٣٣) بواجهتها العملاقة على هذا الطريق^{٣٦} ، وقد أبدع المعمار في تصميم الواجهة وتقسيم إمتداد البوابة مع باقي الواجهة حتى تليق مع وجودها على الطريق السلطاني ، ومدرسة الأمير أبلحى اليوسفي (أثر رقم ١٣١) ، مدرسة الأمير سودون من زاده (أثر رقم ١٢٧) ، حمام الأمير بشتاك الناصري (أثر رقم ٢٤٤) وقبة الشيخ سعود - وهي بقايا الزاوية التي بناها سليمان باشا الخادم^{٣٧} - (أثر رقم ٥١٠) ، منشآت حسن أغا جمليان (السبيل : أثر رقم ٢٤٣)^{٣٨} ، وغيرها من الآثار الهامة .

أما الطريق الثاني - من التبانة فشارع باب الوزير فسكة الحجر - فإن المصادر التاريخية تمدنا عنه كذلك بمعلومات على قدر من الأهمية ، فنجد المقرئ يذكّر لنا في كتابه السلوك موكباً للسلطان الناصر محمد بن قلاوون في حوادث سنة ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م ، فيقول « . . . وسار

- (٣٠) كان خط سوق السلاح يمتد في المنطقة المحصورة من مدرسة السلطان حسن حتى قصر الأمير منجك اليوسفي ، ولم تظهر هذه التسمية إلا في أواخر القرن ١٥ هـ / ١٥ م ، أما خط سوق العزى ، فكان يمتد من تقاطع شارع التبانة مع شارع باب الوزير الآن ، فجنوباً حتى قصر الأمير منجك اليوسفي ، ثم دمج الشارعين تحت اسم سوق السلاح بعد شق شارع محمد على في القرن الماضي ، أنظر : محمد حسام الدين إسماعيل : المرجع السابق ، ص ٢٧ - ٣٠ ، ٣٤ - ٣٧ .
- (٣١) خط الرملة : هو شارع الحجر الحالى من باب العزب إلى دار المحفوظات ، أنظر محمد حسام الدين : المرجع السابق ، ص ٣٨ .
- (٣٢) ابن إياس : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٣٦٨ .
- (٣٣) أثر رقم ١٢٠ .
- (٣٤) ابن إياس : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٤٢٠ .
- (٣٥) ابن إياس : المصدر السابق ، ج ٥ ص ٤٣٤ .
- (٣٦) أنظر الخريطة المرفقة (شكل ٢) - عن كتاب وصف مصر - حيث توضح مسار الموكب قبل فتح شارع محمد على في القرن ١٩ م .
- (٣٧) أنظر وثيقة وقف رقم ١٠٧٤ - أوقاف ؛ محمد حسام الدين : المرجع السابق ، ص ٣١٩ - ٣٢١ .
- (٣٨) هي منزل ورابع وسبيل وكتاب للإناث ، أنظر : محمد حسام الدين : المرجع السابق ، ص ٤٠٤ - ٤٠٨ ، ٤١٨ .

النيل . . . ثم عملوا له موكباً ، وطلع إلى القلعة من تحت الربع على الدرب الأحمر»^{٢٥} . كما يصف الجبرتي موكب جنازة الأمير طوسون بن محمد على باشا في حوادث سنة ١٢٣١ هـ / ١٨١٦ م ، فقال « . . . إنجروا بالحنازة من غير ترتيب والجميع مشاة أمامه وخلفه . . . من ساحل بولاق على طريق المدابغ وباب الخرق على الدرب الأحمر على التبانة إلى الروميلة»^{٢٦} . كما ذكر أيضاً في حوادث سنة ١٢٣٥ هـ / ١٨٢٠ م موكباً بمناسبة ختان عباس باشا ، فقال « . . . عملوا الزفة لعباس باشا ونزلوا به من القلعة على الدرب الأحمر على باب الخرق إلى القصر وختنوه»^{٢٧} .

وقد عفا الزمن عن كثير من منشآت السلاطين التي كانت في شارع تحت الربع الحالي ، ولم يتبق منها إلا سبيل وزاوية الدهيشة (أثر رقم ٢٠٣) والتي ترجع إلى بداية القرن ٩ هـ / ١٥ م في عهد السلطان فرج بن برقوق ، وكان هناك أيضاً ربيع السلطان الظاهر بيبرس ، ومنشآت للسلطان برسباي ، والسلطان قايتباي وغيرهم ، نجدها الآن بالمصادر التاريخية ووثائق الوقف فقط .

الطريق الرابع : وكان يمر فيه الموكب من شارع الصليبية ، حيث كان السلطان يخرج منه إلى منطقة السيدة زينب إلى المقياس بجزيرة الروضة ، أو إلى النيل في بولاق ، أو الجزيرة ، وكذلك كان طريق عودته . فقد ذكر المقرئ موكباً للسلطان برقوق عند ذهابه إلى الصيد بالجزيرة في حوادث شهر ذي القعدة سنة ٧٨٤ هـ / ١٣٨٣ م ، فقال « . . . وفي يوم الثلاثاء تاسع عشر منه ركب السلطان من قلعة الجبل ومر على قناطر السباع (ميدان السيدة زينب الآن) حتى عدى النيل من بولاق إلى الجزيرة وتصيد»^{٢٨} . ويذكر ابن إياس موكباً آخر للسلطان الغوري عند قدومه من الفيوم في شهر صفر سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م ، فيقول « وفي يوم الأحد تاسع عشره حضر السلطان من الفيوم وعدى من الجزيرة فلاقاه الخليفة والقضاة الأربعة ، فشق من الصليبية . . . وطلع إلى القلعة في موكب حافل»^{٢٩} .

ونظرة عابرة على آثار شارع الصليبية من الغرب إلى الشرق ، نجد المتبق من العصور المختلفة ، منشأة الأمير سنجر والأمير سلار (أثر رقم ٢٢١) ، مدرسة الأمير صرغتمش الناصري (أثر رقم ٢١٨) ، مدرسة الأمير تغرى بردى المؤزى (أثر رقم ٢٠٩) ، بقايا بيت السلطان الغوري (أثر رقم ٣٢٢) ، سبيل أم عباس ، مجموعة الأمير شيخوخو (أثر رقم ١٤٧ ، ١٥٢) ، مدرسة الأمير قانيباي المحمدي (أثر رقم ١٥١) ، وسبيل وكتاب السلطان قايتباي (أثر رقم ٣٢٤) ، هذا غير ما عفا عليه الدهر من قصور وغير ذلك ، كانت تأخذ مكانها على هذا الطريق .

(٢٨) المقرئ : السلوك ، ج ٣ ق ٢ ص ٤٨١ .

(٢٩) ابن إياس : المصدر السابق ، ج ٥ ص ٢١ .

(٢٥) الجبرتي : المصدر السابق ، ج ٣ ص ٢٧١ .

(٢٦) الجبرتي : المصدر السابق ، ج ٧ ص ٣٨٤ .

(٢٧) الجبرتي : المصدر السابق ، ج ٧ ص ٤٦٨ .

الكاملية (أثر رقم ٤٢٨) ، خانقاه السلطان برفوق (أثر رقم ١٨٧) ، مدرسة السلطان محمد بن قلاوون (أثر رقم ٤٤) ، مجموعة السلطان قلاوون (أثر رقم ٤٣) ، سبيل محمد على باشا (أثر رقم ٤٠٢) ، بقايا مدرسة السلطان بيبرس (أثر رقم ٣٧) ، سبيل خسرو باشا (أثر رقم ٥٢) ، مدرسة السلطان الصالح نجم الدين أيوب (أثر رقم ٣٨) ، مسجد الشيخ مطهر والسبيل والترربة الملحقة به للأمير عبد الرحمن كتحدا - كان في الأصل المدرسة السيوفية المنسوبة لسلطان صلاح الدين الأيوبي - (أثر رقم ٤٠) ، مدرسة السلطان برسباي (أثر رقم ١٧٥) ، مجموعة السلطان الغوري (أثر رقم ١٨٩ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧) ، جامع الفكهاني - وهو فاطمي الأصل ، ويرجع بنائه الآن إلى العصر العثماني - (أثر رقم ١٠٩) ، سبيل محمد على باشا بالعقادين (أثر رقم ٤٠١) ، وجامع السلطان المؤيد شيخ الحمودي (أثر رقم ١٩٠) .

ومن هذا العرض لآثار السلاطين والأمراء والباشاوات عبر العصور المختلفة ، نجد أن الكثافة الكبرى للآثار في هذه المنطقة من القاهرة لهم - ولا يضارعها إلا الدرب السلطاني شرق القاهرة - حيث قرافة الممالك الآن - مما يوضح لنا أهمية هذا الطريق في الحياة العامة في تلك العصور ، والذي إتخذ طريقاً لموكب السلطان ، ومواكب الأمراء وكبار رجال الدولة ، ويوضح أيضاً أن أصحاب تلك المنشآت قد حرصوا على بنائها في الطرق الرئيسية ، وقد ذكرت هنا الآثار المسجلة فقط ضمن قوائم الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة ، ولكن غير المسجل أكثر من هذا العدد وبأكثره إلى الآن كما هو مع بعض التغييرات .

كانت المواكب تسلك أيضاً طريقاً ثالثاً عند قدوم السلاطين من غرب الخليج من جنوب القاهرة ، إستخدم في هذه الفترة التي نتحدث عنها ، كان يسلك منه إلى القاهرة من الظاهر الجنوبي مباشرة دون دخول القاهرة الفاطمية على الإطلاق ، فكان الموكب يشق من باب الخرق ، فسوق تحت الربع حتى القلعة ، وقد أورد ابن إياس وصفاً لموكب السلطان الغوري في حوادث سنة ٩١٦ هـ / ١٥١١ م ، حيث قال « . . . وطلع من باب الخرق ، وشق من سوق تحت الربع ، ثم طلع من على البُسطيين^{٢٣} وإستمر على ذلك حتى طلع إلى القلعة^{٢٤} . ويروي الجبرتي موكباً آخر في حوادث سنة ١١٩٨ هـ / ١٧٨٣ م لإحد باشاوات العثمانيين حين قدومه إلى القاهرة ، حيث قال « . . . حضر إلى مصر محمد باشا والى مصر ، فأنزله بقصر عبد الرحمن كتحدا بشاطيء

منشورة ، كلية آداب سوهاج ، جامعة أسيوط ، سنة ١٩٨٦ م
ص ١٦ - ١٧ .
(٢٤) ابن إياس : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٠٢ ؛
وذكر كذلك نفس الطريق في ج ٥ ص ٤٦٦ .

(٢٣) سوق البُسطيين : هو شارع الدرب الأحمر الآن ،
أنظر : محمد حسام الدين اسماعيل عبد الفتاح : منطقة
الدرب الأحمر - دراسة للقسم الثالث من ظاهر القاهرة
القبلي - دراسة أثرية تسجيلية ، رسالة ماجستير غير

(أثر رقم ٣٥) والذي كان من المتحكيين في حكومة وقته في بداية القرن ١٥ م، ومنشأة السلطان قايتباي (أثر رقم ٩)، وغيرها من المنشآت الهامة التي تعكس أهمية الطريق.

ولم يكن هذا الطريق هو المسار الوحيد للموكب السلطاني، فهناك طريق آخر كان السلطان يمر منه عند قدومه من الجهة الشمالية الغربية للقاهرة، حيث يدخل من باب الشعرية^{١٧} شاقاً شارع أمير الجيوش (مرجوش)، فشارع المعز لدين الله حتى يصل إلى باب زويلة، يؤكد ذلك ما ذكره ابن إياس عند وصفه لموكب السلطان الغوري في حوادث سنة ٩١٧هـ/١٥١١ م، فيقول «... ودخل من باب الشعرية، ثم أتى إلى باب القنطرة... وخرج من باب القنطرة وشق من سوق مرجوش، ثم شق من القاهرة وطلع من بابي زويلة إلى القلعة»^{١٨}. كذلك يسوق لنا ابن إياس موكباً آخر لملك الأمراء خاير بك في حوادث سنة ٩٢٦هـ/١٥٢٠ م، حيث قال «... رجع ملك الأمراء إلى القاهرة فأتى من على قنطرة الحاجب^{١٩} ودخل من باب الشعرية وخرج من باب القنطرة، وطلع من على سوق مرجوش وشق القاهرة،... فإستمر في ذلك الموكب حتى طلع إلى القلعة»^{٢٠}.

ويذكر لنا أحمد شلبي بن عبد الغني موكب أحمد باشا الوزير (سنة ١٠٢٤-١٠٢٧هـ/١٦١٥-١٦١٩ م) حين قدومه إلى مصر لتولى منصبه، يؤكد لنا مروره من القاهرة من شارع المعز لدين الله في العصر العثماني، فيقول «... ودخل إلى مصر في موكب عظيم لم يسبق لغيره، ولما مر بالسوق المعروف بالباسطية قرب باب زويلة^{٢١} سقط عليه حجر من ريع هناك»^{٢٢}.

وإذا نظرنا نظرة سريعة إلى الآثار الإسلامية الباقية في هذه الجهة من تقاطع شارع التبركشية مع شارع المعز لدين الله الفاطمي - بداية من العصر الأيوبي وحتى عصر أسرة محمد علي - نجد أن معظم هذه المنشآت إما لسلطين، وإما لكبار الأمراء في العصرين الأيوبي والمملوكي، أو لباشاوات مصر وأمراءهم بعد ذلك في العصر العثماني، فنجد على الترتيب من الشمال إلى الجنوب: سبيل عبد الرحمن كتحدا (أثر رقم ٢١)، وقصر الأمير بشتاك الناصري (أثر رقم ٣٤)، دار الحديث

١٧) باب الشعرية: كان يقع بشارع بورسعيد عند تقاطعه مع شارع الصبان تقريباً، وسمى بباب العدوى لمجاورته لزواية العدوى قبل إزالتها.
٢٠) ابن إياس: المصدر السابق، ج ٥ ص ٣٢٥-٣٢٦.

١٨) ابن إياس: المصدر السابق، ج ٤ ص ٢٤٦.
٢١) تذكر وثيقة وقف السلطان الغوري - رقم ٨٨٢ - أوقاف - أن هذا السوق كان عند زاوية سام بن نوح بشارع المعز لدين الله الآن.

٢٢) أحمد شلبي بن عبد الغني: المصدر السابق، ص ١٣٤ - ١٣٥.

١٨) ابن إياس: المصدر السابق، ج ٤ ص ٢٤٦.
وباب القنطرة: كان يقع بأول شارع أمير الجيوش عند إلتقائه بميدان باب الشعرية الآن، وقد هدم سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨ م. أنظر: على مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة، بولاق سنة ١٣٠٤هـ، ج ٣ ص ٢٣.

١٨) ابن إياس: المصدر السابق، ج ٤ ص ٢٤٦.
وباب القنطرة: كان يقع بأول شارع أمير الجيوش عند إلتقائه بميدان باب الشعرية الآن، وقد هدم سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨ م. أنظر: على مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة، بولاق سنة ١٣٠٤هـ، ج ٣ ص ٢٣.

يذكر المقرئزي مؤكداً أنه منذ إنشاء «السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قلعة الجبل على رأس الشرف المطل على القطائع، وصار يسلك إلى القلعة من هذه الجهة اليسرى فيما بين المقابر والجبل»^{١٠}. وقد أوضحت المصادر التاريخية أن المواكب السلطانية كانت تشق القاهرة من عدة طرق حتى تصل إلى باب زويلة، وكذلك كانت تقطع الطريق من باب زويلة إلى القلعة من طريقين، وكانت الطرق الرئيسية عند دخول السلطان إلى القاهرة من باب النصر شاقاً شارع الجمالية فشارع التبعكشية^{١١} فشارع المعز لدين الله - قسبة القاهرة - عند المدرسة الكاملية^{١٢} وسبيل عبد الرحمن كتحداً^{١٣} وحتى يصل إلى باب زويلة^{١٤}. يوضح ذلك أيضاً ما ذكره المقرئزي عند وصفه لموكب السلطان الأشرف برسباي سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م، حيث قال «... ركب السلطان... ثم عبر القاهرة من باب النصر ودخل عمارته بخط الركن الخلق^{١٥} وخرج من باب زويلة إلى القلعة»^{١٦}.

نلاحظ هنا أن هذا الطريق عامر بعناصر هامة، منها على سبيل المثال منشأة السلطان بيبرس الجاشنكير (أثر رقم ٣٢)، خانقاه سعيد السعداء، منشأة الأمير جمال الدين الأستاذار

مقرأً للحكو - حتى آخر العصر العثماني وعهد محمد علي باشا وأسرته. أنظر: ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق د. حسن حبشي، ٣ أجزاء، القاهرة سنة ١٩٦٩-١٩٧٢م، ج ٢ ص ٤٨٠؛ المقرئزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ٢ (٦ أقسام) تحقيق د. محمد مصطفى زيادة، القاهرة سنة ١٩٥٧-١٩٧٢م، ج ٣، ٤ (٦ أقسام) تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة سنة ١٩٧٠-١٩٧٢م، ج ٤ ق ١ ص ١٧٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جزء، القاهرة سنة ١٩٢٩-١٩٧٢م، ج ١٣ ص ١٢٠؛ الجبرقي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق: حسن محمد الجوهري، عبد الفتاح السرنجاي، السيد إبراهيم سالم، عمر الدسوقي، ٧ أجزاء، القاهرة ١٩٥٩-١٩٦٧م، ج ٧ ص ٤٠٨.

(١٥) هو شارع التبعكشية الآن. وعن عمارة السلطان برسباي المذكورة أنظر: وثيقة وقف السلطان برسباي رقم ١٧٣ - دار الوثائق القومية بالقاهرة، ص ٩٤-٩٧؛ المقرئزي: خطط، ج ٢ ص ٧٩؛ المقرئزي: السلوك، ج ٤ ق ٢ ص ٦٣٦. حيث أن هذه الوكالة ترجع الآن على ما يبدو من بقاياها إلى القرن ١٩م وليست مسجلة في قوائم الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة. (١٦) المقرئزي: السلوك، ج ٤ ق ٢ ص ٦٢٢.

(١٠) المقرئزي: المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار «الخطط»، بولاق سنة ١٨٥٤م، ج ٢ ص ١١٠. والجهة اليسرى التي يتحدث عنها هي الشارع الممتد من باب زويلة فشارع درب الأحمر فالتبانة فباب الوزير حتى القلعة كما سنرى.

(١١) سمي هذا الطريق في الأمر الصادر بتسمية شوارع القاهرة سنة ١٢٦٢هـ/١٨٤٧م، في البند الحادي عشر بإسم «شارع باب النصر». أنظر: حسن عبد الوهاب: تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها، محاضرة ألقيت بالجمع العلمي المصري في ١٤ إبريل سنة ١٩٥٥م، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة سنة ١٩٥٧م، ص ٢٥.

(١٢) أثر رقم ٤٢٨.

(١٣) أثر رقم ٢١.

(١٤) المقرئزي: المصدر السابق، ج ١ ص ٣٧٩-٣٨٠، حيث قال عند ذكره لموكب السلطان فرج بن برقوق (سنة ٨٠١-٨١٥هـ/١٣٩٨-١٤١٢م): «... وعبر السلطان إلى القاهرة من باب النصر... حتى مر بالمدرسة التي أنشأها الأمير جمال الدين يوسف الأستاذار (أثر رقم ٣٥) برحمة باب العيد... ولما سار السلطان من هذه المدرسة مر بمدرسة أبيه في بين القصرين (أثر رقم ١٨٧) فنزل إليها أيضاً وزار جده. ثم ركب وخرج من باب زويلة إلى القلعة». وهذا النص هو مثال للمواكب داخل مدينة القاهرة من بداية العصر الأيوبي - حين إنشئت القلعة

والثابت تاريخياً مرور المحمل من داخل القاهرة وظواهرها في العصر العثماني ، يؤيدنا في ذلك ما جاء في « تاريخ العيني » حينما تحدث في حوادث سنة ١١٣٣ هـ / ١٧٢٠ م ، حيث قال « عند دخول محمد بيك بالمحمل إلى مصر تاسع صفر ، ولم ينزل الباشا إلى قسماش على العادة القديمة »^٧ .

ومعنى ذلك أن مدرسة الأمير قجماش الإسحاقى كان يجلس بها الوالى العثماني لمشاهدة المحمل أثناء رجوعه إلى مصر^٨ . وجاء أيضاً في وثيقة وقف الأمير إبراهيم أغا مستحفظان أن المحمل كان يمر أمام منشأته بشارع باب الوزير عند خروجه من القاهرة ، فوقف نقوداً لتفرق على الصوفية لقراءة الفاتحة والدعاء له^٩ . فن الواضح والحال هكذا أن موكب المحمل قد تأثر بالعمائر المبنية فعلا ، ولم يؤثر كما سنرى في استعراض المواكب السلطانية .

ثالثاً : المواكب السلطانية :

كانت المواكب السلطانية تشق مدينة القاهرة من الشارع الأعظم حتى تصل إلى باب زويلة ، ثم تنعطف يساراً لتشق الظاهر الجنوبي للمدينة حتى تصل إلى قلعة الجبل - مقر الحكم في العصرين المملوكي والعثماني . كما كان هناك مواكب تسير من جنوب مدينة القاهرة مباشرة إلى القلعة ، وذلك حسب إتجاه السلطان ، كما سنعرض .

ويمكننا توضيح الطرق المختلفة لمرور المواكب قبل إستعراضها على الوجه التالي :

- ١ - باب النصر إلى شارع التبركشية ، مروراً بشارع المعز لدين الله حتى باب زويلة .
- ٢ - باب الشعرية ، فباب القنطرة ، مروراً بشارع أمير الجيوش ، فشارع المعز حتى باب زويلة .

وكانت تكلمة الموكب عند خروجه من باب زويلة تأخذ طريقتين ، كالآتي :

- ١ - شارع الدرب الأحمر ، فشارع التبانة ، فشارع سوق السلاح إلى سكة الحجر ، فالقلعة .
- ٢ - شارع الدرب الأحمر ، فشارع التبانة ، فشارع باب الوزير ، فشارع الحجر إلى القلعة .

وهناك مساران آخران من خارج القاهرة إلى القلعة مباشرة ، وهما :

- ١ - باب الخرق ، مروراً بشارع تحت الربيع ، فالقلعة .
- ٢ - قناطر السباع - ميدان السيدة زينب الآن - ، مروراً بشارع الصليبية ، فالقلعة .

(٨) تقع تلك المدرسة في مفترق الطرق عند إنحراف شارع الدرب الأحمر متقابلاً مع شارع التبانة - أنر رقم ١١٤ .
(٩) وثيقة وقف رقم ٩٥٢ - أوقاف ، مؤرخة في ١٠ محرم سنة ١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩ م ، ص ٣٨٠ .

(٧) أحمد شلبي بن عبد الغنى : أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشا ، الملقب بالتاريخ العيني ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، القاهرة سنة ١٩٧٨ م ، ص ٣٠٨ .

فطلعوا به من باب الجامع ، ومروا من الطاروق الذى يمر من على سيدى على أبو النور ، ودخلوا به الجامع ٣ .

وبتحليل هذا النص ، نجد أن موكب الجنازة نزل من القلعة ، وما أن وصل إلى باب زويلة كان من المفترض أن يدخل منه حتى يُدخل بالنعش من باب جامع السلطان المؤيد الرئيسى ، ولكن خوف الأمراء وتشاؤمهم من عبور باب زويلة بنعش ، دفعهم للسير قدماً فى شارع تحت الربع حتى وصلوا إلى الباب الخلفى للجامع ، حيث دخلوا ليدفنوه فى قبته .

حدث مثل ذلك أيضاً عند وفاة ابن السلطان الغورى سنة ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م ، وحدث كذلك عند وفاة زوجة الغورى سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م ، حيث دخل المشيعون من خوخة أيدغمش [أنظر شكل رقم « ١ »] إلى حارة الروم ، ووصلوا إلى قبة السلطان الغورى بشارع المعز ، تفادياً للمرور بالنعش من باب زويلة ، فقد جاء فى تاريخ ابن إياس أنه عندما توفى محمد بن الغورى « نزلوا به من سلم المدرج ، ومشى قدامه الأمراء فتوجهوا به إلى الدرب الأحمر وأدخلوه من خوخة أيدغمش ، وكانت له جنازة مشهورة ، ونهب العوام الكفارة من قدامه عند باب الوزير ، واستمرت الأمراء ماشية حتى أتوا به إلى مدرسة أبيه فدفن بها داخل القبة » ٤ . وعند دفن زوجة الغورى قال « . . . لم يدخلوا بها من باب زويلة ، بل دخلوا بها من خوخة أيدغمش » ٥ .

هذا ولم نجد لمواكب الجنائز أثراً بيناً على وضع العماير فى شوارع القاهرة ، ولكنها تأثرت بالعماير ، وكذلك موكب الحمل ، فإن له طابع رسمى ، فكان يُطاف به شوارع القاهرة كلها قبل الخروج منها ، فيمكن أن يكون هذا سبباً من الأسباب التى أثرت على وضع مسار الموكب بالنسبة للعماير فى شوارع المدينة ، وليس العكس ، كما سنرى .

ثانياً : موكب الحمل :

لم يرد بالمصادر التاريخية ما يشير إلى مرور موكب الحمل - عند سفره بعد طوافه بشوارع المدينة - من داخل القاهرة وظواهرها طوال العصر المملوكى ، حيث كان الحمل يعبر مباشرة من الدرب السلطاني خارج أسوار القاهرة نحو الشمال إلى بركة الحاج ، فيما عدا موكب زوجة السلطان الغورى عند خروجها للحاج سنة ٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م ، وهذا خارج عن المعتاد كما ذكر ابن إياس ٦ .

- (٣) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق د. محمد مصطفى ، ٥ أجزاء ، القاهرة سنة ١٩٨٢ - ١٩٨٤ م ، ج ٢ ص ٥٩ .
- (٤) ابن إياس : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٧٨ .
- (٥) ابن إياس : المصدر السابق ، ج ٥ ص ٢٨ .
- (٦) ابن إياس : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٤١ .

بعض الملاحظات على العلاقة بين مرور المواكب

ووضع المباني الأثرية في شوارع

مدينة القاهرة

بقلم

محمد حسام الدين اسماعيل عبر الفناع

تحدث المؤرخون عن المواكب التي شقت مدينة القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني ، عن وصف لبس السلطان أو الأمير أو غيره حسب نوع الموكب ، والمحيطين به وترتيبهم ، ويهمنا هنا أن نجيب عن تساؤلين : من أين كانت تسير هذه المواكب داخل مدينة القاهرة وخارجها؟ وكيف أثرت في عمارة تلك العصور؟

تختلف أنواع المواكب إختلافاً كاملاً ، فنجد من بينها مواكب الجنائز ، وموكب الحمل ، والمواكب السلطانية ، ولكل نوع منها شكل خاص وأهمية تختلف بعضها عن بعض ، ولا شك في أن لهذه المواكب أثرها في مظهر المدينة عامة . وستقتصر هذه الدراسة على بعض ملاحظات بسيطة تتعلق خاصة بأثرها على وضع المباني في شوارع المدينة .

أولاً : مواكب الجنائز :

نلاحظ أن المصادر التاريخية قد أسهبت في وصف المواكب السلطانية ومواكب الحمل ، وعلى العكس من ذلك لم يرد بها وصفاً مسهباً لمواكب الجنائز ، ولعل ذلك راجع - حسب رأى السخاوى - إلى تشاؤم الناس من مرورها بأحد أبواب القاهرة ، بل إنها كانت لا تعبر باب زويلة إلى داخل المدينة^١ ، ورغم هذا فقد قدم لنا السخاوى وصفاً لمسار جنازة محمد إبن السلطان أبي سعيد جقمق في سنة ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م ، حين ذكر أنه « . . . دفن بالبرقوقية بين القصرين ودخلوا بنعشه من باب زويلة مع تشاؤم الناس بذلك»^٢ . ويؤيد إبن إياس ما يذكره لنا السخاوى عند ذكره لجنازة السلطان المؤيد شيخ (سنة ٨١٥ - ٨٢٤هـ / ١٤١٢ - ١٤٢١م) ، فيقول « . . . ثم نزلوا به والأمراء مشاة قدام نعشه ، حتى أتوا به الجامع الذي أنشأه بجوار باب زويلة ،

(١) ، (٢) السخاوى : التبر المسبوك في ذيل السلوك ، بولاق سنة ١٨٩٦م ، ص ٣٣٧ .